



جمعية الشيخ ماء العينين للتنمية والثقافة
تيزنيت



جامعة محمد الخامس بالرباط
معهد الدراسات الإفريقية



جامعة محمد الخامس بالرباط
Université Mohammed V de Rabat

سلسلة : لحوات (19)

التواصل العلمي بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء



تنسيق :

الأستاذ ماء العينين النعمة علي

منشورات معهد الدراسات الإفريقية 2016

أضواء على آثار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في الأدب العربي بديار نيجيريا

الدكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي
الدكتور لطيف أونيريتي إبراهيم
جامعة البورن
نيجيريا

مقدمة

يعتبر الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني عالما جليلا من أعلام المغرب العربي الوافدين إلى بلاد السودان القديمة بما فيها نيجيريا وذلك خلال القرن الخامس عشر الميلادي لنشر الثقافة العربية والشريعة الإسلامية فيها. ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على إسهامات هذا الرجل في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا ودوره في تحيف أهل المنطقة بهذه الثقافة.

ولتحقيق الغرض، قسمنا البحث إلى مقدمة وخاتمة وتوسطهما ثلاثة أقسام أولها عرض نبذة عن حياة الإمام المغيلي، وثانيها يناقش أثر إنتاجاته الشعرية للمغيلي على أهل نيجيريا، وثالثها عبارة عن أثر هذه الإنتاجات في المنطقة.

القسم الأول : نبذة يسيرة عن حياة الشيخ محمد المغيلي وأثره في التدريس

هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني القادري. ولد في تلمسان جنوبي الجزائر، وفيها تعلم حتى نبغ في الفقه والأدب. وكان غيورا على الدين، حيث انخرط في إصلاحه. ولما حدثت الثورة الدينية بين اليهود والمسلمين في بلاده، وقتل ابنه، التهب غيرة على الدين فأصبح يقاوم اليهود حتى شنت ضمتهم في توات، ثم غاب عن وطنه

وحج بيت الله، وعقب ذلك، زار غرب إفريقيا ودرس هناك. ونزل بكنو سنة 1492م ثم زار كتشنة سنة 1493م وزار تكدة في بلاد آهير ومارس التدريس، كما زار سنغى وقدم عدة استشارات إلى الحاج محمد أسكيا الكبير عن صحة إدارته وعن المسائل التشريعية والتنفيذية والقضائية في المملكة، فأجابه عن تلك المسائل السياسية بما أقرته الشريعة وسأله عن أمر سن علي فأجابه بأنه ملك كافر لما صدر منه من علامات الكفر. ثم أعطى أسكيا دستوراً يسيى به البلاد. ومن جملة ما قام به أنه نشر الطريقة القادرية ونشر العلم والمعرفة وكل ما من شأنه أن يسمو بالمسلم إلى الورع والتقوى والتصوف في العبادات.¹

ومن أهم ما علم التلاميذ، تأكيدات على التمسك بحديث شهير من الأحاديث النبوية وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (رواه أبو داود). فهذا الحديث الشريف أكد عليه المعنى فتأثر به عدد من المجاهدين طيلة القرن التاسع عشر، ومنهم الشيخ عثمان ابن فودي في بلاد الهوسا و(الشيخ أحمد لبو) في ماسينا ببلاد مالي، وغيرهما، كما تأثر به الحاج عمر بن سعيد السنغالي بفوتا جالون.²

¹ آدم عبد الله الإلورى، 1978م، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلانى، ط 3، دار المطبعة، ص. 88-89.

² آدم عبد الله الإلورى، 2012م، الإمام المغبلي وأثره في الحكومة الإسلامية في القرن العشرين في نيجيريا، مكتبة وهبة، القاهرة، ص. 64-70.

قسم الثاني : آثاره الشعرية بديار نيجيريا

تتميز قصائد المغيلي بعدة ميزات خطابية وفنية، أما مواضيعها فتتوزع بين المدح والمنطق والمناظرة وإبداء النصيحة للسلاطين.

1- قصائد مدحية

للمغيلي قصائد شعرية جيدة مشهورة في غرب إفريقيا عامة وفي نيجيريا خاصة عارستها طلبة العلم ويسوقها الأدباء في إنتاجاتهم الأدبية. ومن هذه القصائد قصيدته الحميمة التي ارتجلها في الروضة الشريفة في المدح النبوي، ونصها كما يلي:

شارك قلبي هذا سيد الأمم	وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة	وهذه القبة الخضراء كالعلم
يا سيدي يا رسول الله خذي بيدي	يا من لقاصده أمن من النقم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي	فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي	فبحر جودك مورود لكل ظم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي	أبيت بالأمن في خير وفي نعم
يا أشرف الأنبياء يا من شفاعته	عمت على الخلق من عرب ومن عجم
يا صفوة الله يا مولى مكارمه	عمت على الخلق من طفل إلى هرم
يا فقير إلى عفو ومرحمة	وانت أدري بما في القلب من الم
وقد أتيتك أرجو منك مكرمة	وانت أهل الرضى والجود والكرم

فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد
يا أحمد يا أبوبكر ويا عمر
وقد سعيت إلى أبواب حجرتك
أتى لأم القرى يرجو القرى كرما
فإن قبلتم فإني مفلح بكم
يا من أجل ملوك الأرض قاطبة
فهل عسى نظرة منكم بزانركم
يا رب يا رب يا مولاي عبدك في
فجد عليه بما يرجوه من كرم
ثم الصلاة وتسليم الإله على
محمد المصطفى والآل ثم على

أودى به الكسر من ناله بهم
نزلكم في أمان غير منهضم
سعيًا على الرأس لا سعيًا على القدم
من سادة العلم بحر الفضل والكرم
في زورتي واغشيابي وأفر القدم
في باب فضلكم من أصغر الخدم
يغنى بها عن جميع الخلق كله
باب الرجا يرتجى أمانًا من النقد
فقد توصل في الدنيا بحقهم
هذا النبي الرفيع القدر والشيم
أصحابه ما سرى ركب بربرهم

تحليل ونقد

استهل الشاعر قصيدته بمن نفسه ببشرى الفوز وتحقيق أحلامه وتحصيل أمته
التي طالما كان يتطلع إليها، ألا وهي تمكّنه من انتهاز الفرصة للمثول أمام قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتقبيل جدرانه. ثم وصف ما حواه حرمة صلى الله عليه وسلم من

¹ قريب الله بن الشيخ محمد الناصر الكبرى، 1993م، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل نزول
صكتو العاصمة من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني الهجري، (بدون مكان النشر)، ص 95.

روضته الغراء والقبّة الخضراء العالية كالجبل، طالبا منه أن يساعده بجوده وكرمه وأن يهتمّ به وينقّده من خوفه، وأخبره أنه ضيف الله، وضيف الله لا يظلمه الظالمون. ثم صرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه عبد ذليل أتى إليه بأوزاره من الذنوب راجيا أن يشفع له عند الله ليعفو عنه ويكفر عنه سيئاته جميعا. ثم ختم قصيدته بالصلاة والتسليم على النبي وعلى آله وصحابه أجمعين.

قصيدة وسماتها

* من حيث المضمون تظهر الملامح الآتية :

يبرز في هذه القصيدة ما اتّسم به صاحبها من أوصاف الصوفيين وسلوك السالكين منها :

إظهار الهوى العذري للحضرة النبوية، وبلوغ الغاية في التوسّل بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى لطلب العفو والرحمة.

* ومن حيث الأسلوب تبرز الخصائص التالية :

أ - الخاصية الأدبية: إن منشأ جمال شعر محمد عبد الكريم المغيلي راجع إلى ما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، وتلمّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، واللباس المعنوي ثوب المحسوس. وإظهار المحسوس في صورة المعنوي.

ب - الخاصية الخطابية: هنا تبرز قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان وقوة العقل الخصب لأن الشاعر جعل نفسه كالمتكلّم يتحدّث إلى رسول الله لإثارة عزائمه واستنهاض هممه كأنه يراه حيا. ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن

كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس، وسطوع حجته، ونبرات صوته الشعري، وحسن إلقائه، ومحكم إشارته.

ج - خاصية التلون والتفنن في الأساليب: ذلك أن الشاعر قد تلوّن في أساليبه لأن عمله فني وهو يخاطب العاطفة أكثر مما يخاطب العقل. فإذا التزم الأسلوب الخبري فقط في عمله لا يستطيع أن يثير عواطف غيره. ولتتمكن من أغراضه جاء في كلامه تارة بخبري وأخرى بالتعجب ثم انتقل من ذلك إلى الاستفهام الإنكاري أو التقريري أو غير ذلك، حيث أن كلامه يؤثر تأثيراً كبيراً في نفس السامع. وكنك يلاحظ المرء أن هناك تلوّناً في الحقيقة والمجاز أو الكناية بدون تكلف.

نجد أثر هذه القصيدة جلياً في شعر الشيخ ناصر الكبرى الكنوي حيث استغاث برسول الله كما استغاث المغيلي به، وذلك في قصيدة يقول فيها:

يا رسول الله خذ بيدي ** وتداركني وأنت أبي

أنت يا مختار مستندى ** وإليك اليوم منقلبي¹

كما نلمس هذا الأثر في قصيدة عبد الواحد جمعة أريبي المعنونة بـ "يا مختار" يقول فيها:

يا رسول الله كن حبيبي ** إنما أرجوك عن كئيب

أين تمضي اليوم باخرتي ** فيك يا مختار منتسبي

¹ لطيف أونيريتي إبراهيم، 2011م، "الشعر الإسلامي العربي في بلاد يوربا، نيجيريا من 1969م إلى 2009م"، بحث مقدم إلى جامعة إلورن لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية، ص. 38.

أنا في الإيمان مقتصر ** عمل الخيرات أبطأ بي
قائدي العملاق يا سيدي ** فالإيك الآن مقتربي¹

2- تعليم وتشجيع علم المنطق

أ. تعليم علم المنطق

للمغيلي أرجوزة في علم المنطق أسماها "منح الوهاب في رد الفكر إلى صواب" المشهور بـ "رجز المغيلي في المنطق" استفاد منها طلبة العلم كثيرا في هذه المنطقة. فاستطاعوا أن يؤيدوا كلامهم بالبراهين الساطعة ويوردوا أفكارهم بطريقة جيدة. ففي هذه الأرجوزة يقول:

الحمد لله الذي هدانا	لدينه القويم واجتباننا
بخير من بالوحي والكتاب	وفى ومن دعا إلى الصواب
محمد صلى عليه ربنا	ما هب أو كف الصبا منشئنا
ثم على أصحابه وآله	ومن أتى مقتفيا بحاله
وبعد لما كان علم المنطق	رعية الذهن من الغي يقي
نظمت نظما شاملا قواعدا	راج من الله الكريم مددا
وحفظ حافظ له وناظرا	قد أخذ الإنصاف ثوبا ساترا

أنواع العلم الحادث

- ** العلم إن حكما فتصديق وما
- ** عدا تصور فكان لازما
- ** لكم ما حصوله بالنظر
- ** ليس ضروريا ولكم نظري

الدلالة اللفظية والوضعية

- ** دلالة اللفظ لوضعه له
- ** مطابقة ثم لما شمل
- ** تضمن ثم لما لزمه
- ** هو التزام إن حجب ألزم

مبادئ التصورات

- ** واللفظ إن بجزئه قد قصدا
- ** دلالة قول وإلا مقدا
- ** فانسب لكل لا لجزء ما عنا
- ** إن قبل الشرك وإن لم يسك
- ** ثم لذات إن يكن قد أندرج
- ** في الذات أو في العرض وحيث
- ** فالأول المختص منه فضلاها
- ** وما عن المختص منه جنسها
- ** والنوع ما شمل ذين دائما
- ** والثاني جاء ذاهبا ولازما
- ** لكن ما اختصت به قد منعها
- ** وشامل الأفراد منها جمعا

مقاصد التصورات

- ** عرف بحد وبرسم وهما
- ** للنقص والتمام كل قسما
- ** فذو التمام ما بجنس قد دنا
- ** والحد منها ما يفصل بيننا
- ** وشرط كل أن يكون جامعاً
- ** وظاهراً للسامعين مانعاً

بـ. تشجيع تعلم علم المنطق

إضافة إلى نظم الأرجوزة في علم المنطق، شجع المغيلي تعلم العلم وأجازه
محل معركة المناظرة مع الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي في تحقيق ذلك،
كما أطلع على كتاب السيوطي في "النهي عن علم المنطق" أخذته الحمية الشديدة لعلم
المنطق لأنه لم يكن من كبار المناطقة رغم تأليف مختصر فيه، فمن ثم اعترض عليه في
حرم هذا العلم وأخذ يبدئ ويعيد في تحليله. وبذلك نجمت هذه النقیضة الشعرية في حكم
المنطق بالمنطق، فكان السيوطي يحرم المنطق والمغيلي يؤيده، وهما حينذاك في
حرية. وهذا ما جرى بينهما:

يقول المغيلي:

كل حديث حكمه حكم أصله	سمعت بأمري ما سمعت بمثله
وينهى عن الفرقان في بعض قوله	لأن المرء في العلم حجة
عن الحق أو تحقيقه حين جهله	المنطق المعنى إلا عبارة
دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله	في كل الكلام فهل ترى
على غير هذا تنفها عن محله	هناك الله منه قضية
رجال وإن أثبت صحة نقله	عك ما أبدى كفور وذمه
دليلاً على شخص بمذهب مثله	الحق حتى من كفور ولا تقم
به لا بهم إذ هم هداة لأجله	بالحق لا العكس فاستبين

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالم بالشرع باح بفضلته¹

فأجابه السيوطي بقوله:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله	أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجب مني حين الفت مبدعاً	كتاباً جموعاً فيه جم بنقله
أقر في النهي عن علم منطق	وما قاله من قال من ذم شكله
وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل	فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقد قال محتجاً بغير رواية	مقالاً عجيباً نائياً عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وبعد ذا	خذ الحق حتى من كفور بخثله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى	علوم يهود أو نصارى لأجله
يحوز به علماً لديه وإنه	يعذب تعذيباً يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه	وقد خط لوخاً بعد تورا أهله
وكم جاء من نهى اتباع لكافر	وإن كان ذاك الأمر حقاً بأصله
أقمت دليلاً بالحديث ولم أقم	دليلاً على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له	لدي ثناء واعتراف بفضلته ²

¹ آدم عبد الله الإلوري، المرجع السابق، ص. 88-89.

² المرجع نفسه، ص. 90.

شرح القصيدتين

استهل الإمام المغيلي قصيدته بالإشارة إلى أنه بلغ سماعه خبر من يحرم المنطق ومع أن كل خبر يحكم عليه حكم أصله، فإن كان أصله صحيحا فهو صحيح وإلا فلا. فكيف يمكن للعالم الذي اتخذ الناس حجة أن ينهى عن بعض ما أمر به القرآن الكريم إذ المنطق المقصود إنما هو الحق أو استنباط الحق إذا كان مجهولا. والقرآن من أوامره الأمر بالحق أو البحث عنه فكيف ينهى عن هذا وهو حجة في العلم؟ فالمنطق معناه شمس في كل الكلام المتحلى بالدليل، فهل هناك دليل صحيح يحتجبه عند المناظرة بدون أن يمت بصلة إلى الشكل المنطقي أم هناك قضية من قضايا الحقيقة على غير صحة بقي عن محله؟ فإذا ثبت أن كل قضية من قضاياها صحيحة ولا يرى منها غير ذلك لزم ترك ما قال في المنطق الجاهلون به ولو وجد أقوالهم في كتبهم أو سمعها من أفواههم بل حب على العالم أخذ الحق أينما وجده ولو من كافر. "هذا مفاد قوله:

سمعت بأمر ما سمعت	بمثله	وكل حديث حكمه حكم أصله
يمكن أن المرء في العلم حجة	وينهى عن الفرقان في بعض قوله	
من المنطق المعنى إلا عبارة	عن الحق أو حق حقيقة جهله	
سمعيه في كل الكلام فهل ترى	دليلا صحيحا لا يرد لشكله	
ترى هداك الله منه قضية	على غير هذا تنفه عن محله	
ودع عنك من أبدى كفور وذمه	رجال وإن أثبت صحة قلمه	

وأما الإمام السيوطي فقد استفتح قصيدته بأنه أخذ العجب من نظم عجيب أتاه من عالم نبيل معترف بفضله، يتعجب من كتابه "النهي عن علم المنطق" وهو الكتاب الذي أثبت فيه تحريم المنطق وفقا لما قاله كبار العلماء من ذم شكله بأنه تارة منتج وتارة عقيم وأنه يحط منه المساواة حيناً والمادة حيناً آخر. ثم يتمادى في أن هذا النظم سماه صاحبه "بالفرقان"، فتأسف على ذلك فكيف سماه بهذا الاسم وهو وصف خاص بالقرآن الكريم فلا يوصف به أي علم أو فن مهما كانت حقيقته: هذا تأويل السيوطي لقول المغيلي "وينهى عن الفرقان في بعض قوله". والواقع أن المغيلي يتكلم عن القرآن المجيد بأنه يأمر بالحق، وإنما أول السيوطي هذا القول للنيل من خصمه، وهذا مغزى قوله:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله	أتاني عن حبر أقر بذيله
تعجب مني حين ألقت مبدعا	كتابا جموعا فيه جم بنقله
أقرّ فيه النهي عن علم منطق	وما قاله من قال من ذم شكله
وسماه بالقرآن يا ليت لم يقل	فذا وصف قرآن كريم لفضله

ثم يضيف السيوطي أن هذا الأخير يجادل بغير روايته من القرآن أو الحديث ويأمر بقوله: "دع عنك ما أبدى كفور وبعده خذ الحق حتى من كفور" على طريقة المخاتلة والخداع، والحال أن المتمسكين بالسنة لا يقبلون أمرا من الأمور إلا بأدوية وأن الأحاديث الشريفة في هذا الصدد كلها تنهى عن طلب علم اليهود والنصارى، وهذا المنطق علم من علوم اليهود والنصارى فمن طلبه يحمل عليه لأنه يعذب ويعاقب عذابا شديدا. نعم، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن طلب علم اليهود والنصارى بأحاديث

قط، بل قام فعلا بمنع عمر عن تناول علم اليهود، فكيف يجيز ما لم يجزه النبي صلى الله عليه وسلم . هذا معنى قوله :

وقد قال محتجا بغير رواية مقالا عجيبا نائيا عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وبعد ذا خذ الحق حتى من كفور بختله

وقد جاءت الآثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأجله

يحوز به علمالديه وإنه يعذب تعذيبا يليق بفعله

وقد منع المختار فاروق صحبه وقد خط لocha بعد تورا أهله

ثم زجر المغيلي السيوطي أن لا يقيم الدليل على أصحاب المنطق وألا يثبت عليهم الحجة بمذهب مثلهم وعقيدة غيرهم، فإن غير المناطقة من العلماء نعرفهم بالحق لا بالعكس فاطلب البيان بالحق لا بهم فإن كان قولهم المروي عنهم صحيحا، فعدد هؤلاء الذين حرّموا علم المنطق قليل جدا على حين أن الذين حلّوه وصرحوا بفضله كثيرون بالمقارنة . وهذا خلاصة قوله :

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليلا على شخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن به لا بهم إذ هم هداة لأجله

لئن صح عنهم ما ذكرت فكهم هم وكم عالم بالشرع باح بفصله

فردّ عليه السيوطي بأن هناك أحاديث كثيرة كلها تنهى عن اتّباع الكافر، فإن كان هذا الأمر حقا بأهله، فالحجة على هؤلاء المناطقة والمتمنطقين قائمة بالحديث لا بمذهب مثّالهم، ثم ختم كلامه بالتسليم عليه والاعتراف، فهذه خلاصة قوله :

وكم جاء من نهى اتباع لكافر وإن كان ذاك الأمر حقا بأهله
أقمت دليلا بالحديث ولم أقم دليلا على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله

تقويم القصيدتين عند محاكم الفقهاء والأدباء

قال الأستاذ محمود عبد الوهاب فاير المدرس بالأزهر :

كتب المناطقة تتنوع إلى نوعين : أحدهما غير مخلوط بضلالات الفلاسفة كـ
المتن (كتابه المنطق الواضح) وكمختصر السنوسي وإيساغوجي وهذا لا خلاف في جواز
الاشتغال به، بل قالوا هو فرض كفاية على كل إقليم، لأنه يتوقف عليه رد الشكوك في
علم الكلام، وهو فرض كفاية وما يتوقف عليه فرض الكفاية فهو فرض كفاية.¹

وبناء على هذا قال الشيخ أحمد عبد الفتاح بن يوسف الملوي الأزهرى :

وممن اشتهر بالترجمة والتأليف فى المنطق عبد الله بن المقفع الذى ترجم كتاب
أرسطو كما ترجم المدخل المعروف بإيساغوجى، ومنهم يعقوب بن إسحاق الكندي
ومحمد بن زكريا الرازي، وأبو نصر الفارابى وابن سينا، وحجة الإسلام الغزالي
وغيرهم ممن اشتغل بدراسة المنطق والتأليف فيه.²

¹ محمد عبد الوهاب فايد، المنطق الواضح، الطبعة الثانية، مكتبة برهام أيوب للطبع والنشر، كـ

نجيريا، (غير مؤرخ)، ص. 5.

² المرجع نفسه، ص. 5.

الغزالي :

" من لا معرفة له بعلم المنطق لا يوثق بعمله".¹

وقد رأى ابن رشد "أن من منع عن النظر في الفلسفة والمنطق كمن منع

عطشان عن الماء فربما أدى به العطش إلى الموت".²

وأما النوع الثاني فقال فيه الأستاذ محمود عبد الوهاب فاير :

والثاني ما هو مخلوط بها وفيه خلاف على ثلاثة أقوال فقال تقي الدين أبو عمرو

بن الصلاح المتوفى سنة 79 هـ والإمام محيي الدين النووي إنه حرام ووافقهما

في ذلك الحافظ السيوطي درءا للمفسدة وخشية أن تتسرب إلى متعلمه العقائد الفاسدة

فربما كما زاعغوا.³

من هنا يبدو أن تناول علم المنطق جائز وفقا لما عليه المغيلي وأمثاله من كبار

علماء وخلافا للإمام السيوطي، خصوصا إذا تعلمه المتعلم للدفاع عن دينه.

إذا رجعنا إلى القصيدتين وقارناهما بالمقياس الأدبي نرى أن الإمام المغيلي قد

تفادى عيبه بناء بلاغيا منطقيا في آن واحد. أما رأيت قوله :

هل المنطق المعني إلا عبارة ** عن الحق أو تحقيقه حين جهله

الرجوع عنه والصفحة نفسها.

الرجوع عنه والصفحة نفسها.

الرجوع عنه والصفحة نفسها.

وقوله "فهل ترى دليلاً صحيحاً لا يردّ لشكّه" فالاستفهام الأول عبارة عن التمرين بينما يفيد الاستفهام الثاني الإنكار، إلا أنه اختار هذا الأسلوب للتأثير البلاغي. ثم انظر إليه كيف جعل الأمر فعل التعجيز في قوله :

أرني هداك الله منه قضية ** على غير هذا تنفّه عن محلّه

ثم انظر إليه كيف جعل فعل الالتماس بمنزلة فعل الأمر الحقيقي في قوله :

ودع عنك ما أبدى كفور وذمّه ** رجال وإن أثبت صحّة نقله

ثم انظر إلى استعماله كلمة "كم" للتقليل والتكثير مرتين في بيت واحد بقوله :

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم ** وكم عالم بالشرع باح بفضلّه

3- أثر المغيلي في توجيه السلاطين والأمراء بشعر الحكمة والنصيحة

هناك وثائق نثرية كتبها المغيلي إلى أولي الأمر من السلاطين والأمراء والناس ورؤسائهم يوصيهم فيها، ومن هذه الوثائق ما صاحبها بنصيحة شعرية تضمنت الحكمة التي يجب على أئمة الأمة وأشرافهم أن يراعوها في قيادة الشؤون العامة، ومنها هؤلاء السلاطين والأمراء في تدبير نظام قومهم وفي سياسة بلدانهم، ومن أمثلة قصيدة يقول فيها:

ولا تقهقه أبداً فإنما ** يقهقه الأعمى ويـزداد عمى

وكن على الصمت حريصاً دائماً ** فقلما يسلم من تكلمـا

وإن يكن لا بد فاختر محكماً ** واخفض من الصوت لئلا تنتما

وعنها قوله:

أهمل السلطان شأن مقاله
أسى قليل الأمر والنهي في الوري

وقال أيضا:

إذا قرب السلطان أخيار قومه ** وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرب السلطان أشرار قومه ** وأعرض عن أخيارهم فهو طالح
وكل امرئ ينبئك عنه قرينه ** وذلك أمر في البرية واضح

وعنها قوله:

أقبح الله الجبان من الوري ** وأكساه ثوب الخزي في طبق الثرى
أحسن كان الملك بملك قابنا ** وما الملك إلا بالشجاعة يشتري
والحرب إن عضت به الحرب عضها ** وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال أيضا:

مجال عقاب الطير في الجو والفلا ** وأنشط ديك في البيوت بجول
وما الملك إلا للعقاب بعزمه ** وللدك صوت في الدجاج يصول

إذا أهمل الراعي المواشي في الخلا ** وألوى إليها في المراح وأهملا
فما هو إلا واحد من أسودها ** وعما قليل تتجلي عنه أولا

ثم قال:

إذا كنت في أمر فكن فيه ناصحاً ** فإن تستتب فاختر خياراً لأهله

ومن يأت بالكلب العقور لبابه ** فعقر جميع الناس من سوء فعله¹

دراسة وتحليل

ويمكن حصر الحكم والوصايا التي أوردها المغيلي في ستة هي :

- (1) على السلطان أو الأمير ألا يقهقه بين الناس قهقهة الحمقى الجهلاء كي لا يحتقره الناس احتقارهم الأحمق من الناس وكذلك عليه أن يلتزم حسن الصمت كي لا يخرج من فمه الفواحش من القول وإذا وقعت واقعة لا مندوحة له فيها من الكلام فعليه أن يختار المحكم من المقال فليلقه على الناس بالأسلوب الذي يناسب المقام ، وبذلك ينال من رعيته احتراماً يليق بمقامه وقدره.
- (2) على أولي الأمر ألا يغفلوا عن الأوامر والنواهي التي أصدروها، بل عليهم أن يسعوا سعياً جدياً لتنفيذها، وإلا عذّبهم الناس من الأمراء الضعاف الذين يقولون ما لا يفعلون.
- (3) على ولاية الأمر أن يختاروا في أقاليمهم ووزاراتهم ودوائر إدارتهم خيار قومهم لقيادة الشؤون العامة وإقامة الحدود ورعاية الأمن. فمن فعل ذلك منهم فهو من الولاية الصالحين، ومن أسند الأمر إلى أشرار قومهم فهو بلا شك من الأمراء الطالحين.

¹ المرجع نفسه، ص. 6.

(4) على السلطان أو الأمير أن يكون شجاعاً يعدّ لعدو الله وعدوه ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ليكون لأمره ونهيه تأثير في أوساط بلاده ولنلا يطمع الطامعون في حكومته من داخل بلاده أو من خارجها. وليقرر هذا الأمر في نفس السامع بدأ الشاعر هذه النصيحة بذكر الجبان ومدح الشجاع وأكد أن الإمارة لا تستقر إلا للشجاع. وشبه حال الملك في جولته وصولته حيث يغير وينجد بحال عقاب من الطير يتمتع بمعيشته في طيرانه في أفق السماء وهبوطه في أرجاء الفلاة والبيداء، وبذلك يعيش في الأرض والسماء عيشة الملك، على حين أنه شبه الجبان بالديك الذي لا يتجاوز ملكه ساحة المنزل لجولاته دائماً حول المنزل ولا يتجاوزه.

(5) على كل وال من ولاية أمر الأمة أن يهتم بأمر قومه وألا يهمل رعيته كي لا يفترسهم منه غيره ممن يهتم أمرهم، لأنه بمنزلة راع، إذا أهمل مواشيه بدون رعاية وعناية هجم عليها الأسود لافتراسها ويستأثرون بها على حسابها.

(6) وأخيراً فإن على كل من تولى أمر الأمة أن يتولاه بإحسان وإتقان بنفسه، وإذا كان لابد له من أن يستخلف غيره في مكانه إذا غاب، أو أن يستنيب أحداً في أحد أقاليمه، أو في دائرة من دوائر حكومته، أو أن يرسل أحداً لينوب عنه في أي مكان أو مناسبة، فعليه أن يختار من قومه خيارهم ليمثله هناك أحسن تمثيل. فمن عين شر الناس أن ينوب عنه في كل ما ذكرنا، يفسد عليه الأمر فيندم في عاقبة أمره حيث لا تنفع الندامة.

القسم الثالث : آثار المغيلي النثرية بديار نيجيريا

إضافة إلى كتاباته الشعرية، ألف المغيلي كتباً ورسائل في النثر وذلك تحت عنوان "إبداء النصيحة للحكام".

وضع المغيلي وصية ودستورا للملوك

خلال جولته في غرب إفريقيا عموماً، وفي نيجيريا خصوصاً، كتب المغيلي وصية للملوك والأمراء، ووضع لهم عدة كتب منها (الوثيقة السلطانية) التي ألفها للملك محمد رمفا بكنو، ومثلها لمحمد أسيكيا سلطان صنغاي كدستور لإدارة بلاده، ونظراً لضيق الوقت سنذكر نموذجين من مؤلفاته :

أ- الأحكام السلطانية التي كتبها لأمير كنو (محمد رمفا)

يقول فيها : "أما بعد: وفقك الله للتقوى، وعصمك من نزعات الهوى؟ فإن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى، بقطع أوداج التقوى. فعليك بتقوى الله: "كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة. فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور".

الباب الأول: يجب على الأمير حسن النية في الإمارة، ويجب على كل ذي عقل وديانة أن يبتعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها، فيتوكل على الله فيها ويستعين به في أمره كله، وينوي أن ينال بها رضى الله في إصلاح أمور عباد الله الدينية والدنيوية. ويعلم أن الله ما ولاه عليهم ليكون سيدهم بل ليصلح لهم دينهم ودنياهم، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الثاني: فيما يجب على الأمير من تحسين الهيئة في مجلسه بإظهار حب الخير وأهله، وبغض الشر وأهله. وفي لباسه أن يلبس المباح للرجال غير متشبه بالنساء، ولا مفسد لبثت المال، ولا يتزين بذهب، ولا فضة، ولا حرير.

وفي جلوسه يجب أن يجلس بالوقار والسكينة من غير عبث ولا قهقهة، مع غض البصر، والإقبال على الرعية بالحق، وأقبح القبائح كذب السلطان وإخلاف الوعد، والغفلة في أمره ونهيه. وفي دائرته بأن يقرب منه الأخيار والعلماء والأتقياء والصالحاء والزهاد، ويبعد عنه الأشرار والجهلة والفجار. وفي قسم بيت المال يجب أن يؤثر رعيته على نفسه وأهله، فلا يكن عبد ثوب، ولا حصان، ولا بساط، ولا مكان، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الثالث: فيما يجب عليه من ترتيب مملكته على ما يتمكن من صلاحها، لأنه راع على جميعهم، وهو مسؤول عنهم، ولا يتمكن على ذلك بنفسه، بل بالنواب. فمنهم وزراء: أي الأعوان في سياسة جميع الرعية لا يخشون إلا الله.

وأمّة: يولون على البلاد البعيدة عنه يجمعون له الناس حين يحتاج إليهم.

وقضاة: أي الذين هم ثقة يفصلون الخصومات.

ومحتسبون: أي أهل الحسبة الأمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، ويكشفون أمور القرية وغيرها من المجامع، ويصلحون ما فسد.

وشرط: أي أعوانه في تنفيذ الأحكام.

وخدام الخصرة: يتصرفون في حوائجه لئلا يحتاج إلى غيرهم.

وعقلاء: يشيرون له في الأمور قبل عامة الناس.
وأمناء: يقبضون الأموال ويصرفونها إلى الرعية في مصارفها.
وكتّاب: حساب يحفظون جميع الأشياء.
ورسل: يكونون سفراء في بلاد الإسلام.
وجساس: يكونون عيونًا في بلاد الأعداء.
وحفظة: يحفظون ليلاً.
وعلماء: ثقافة في العلم والتقوى يرشدونه في جميع أموره.
وشفعاء: يشفعون من اقتضى الحال بشفاعته من ذوى المروءات إذا عثروا في التعزيزات لا في الحد والحقوق.
ومنظمون: أي الصلحاء لوجه الله تعالى.
وعمال: يحبون حق الله كالزكاة وبيت المال.
وحصن: حرز حصين مكفى بالخزائن من طعامه وشرابه وشوقه.
وخيل: أفراس حديدة تعد من بيت المال في كل قرية يحبسها للجهاد.
وظهور: زاد يعد من بيت المال لحمل الفقراء إلى الجهاد ونحوه.
ورجال: شجعان حاضرة في كل أوان عند الأمير لأمر تعرض.
وعدد: من آلات الحرب ونحوها متينة قوية.

وأطباء: أمناء يطيبون الناس لنلا يحتاجون إلى الخروج إلى غير بلاده.
وأمرء الجيوش: الذين ينوبون عنه في سد الثغور وترتيب الجيوش وحفظ بيضة
الإسلام، واستعداد البلغاء الذين برأيهم تنكشف الكروب، فإن الحروب خدعة، ليس
بكثر ولا سرعة، ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب الرابع: في التزام الحذر في الحضر والسفر، بإظهار القوة والجلد عند تغير
الأحوال بالخوف، وإظهار الزهد في الصاحبة والولد لنلا يمنعه ذلك عن العدل. قال
تعالى: "إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم". وإظهار الرغبة في
الأبطال والعدد وحب الخروج إلى الجهاد، وبغض المقام في الديار بلا نهوض إلى
الأعداء.

ومقام السلطان في داره عن رعيته هو رأس كل فتنة وضرر، فالملك بالسيف لا
بالتسويق، أي لا يحصل بقول: سوف تخرج إليهم، سوف أفعل، وهل يدفع الخوف
إلا بالتخويف؟ إن كل من خوّفك لا تسلم منه إلا بتخويفك إياه لا بالهروب منه،
وطلب الصلح معه: "فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون" والله معكم.
ويجب عليه الحذر في طعامه وشرابه وفراشه: أن لا يوليها إلا أقرب أحيائه إليه،
وفي مجلسه ألا يفارق السلاح وأهل الأمانة والصلاح من الشجعان الرماة
والفرسان، وليس وقت الخوف كوقت الأمان. وفي سره أن يكتمه حتى يتمكن، وفي
النمامين بعدم قبول قولهم ولو كانوا أكثر من سبعين. وفي المتهمين ألا يعتز
بظواهر رسل الهداية آمنهم عيوناً، وأصدقهم كيساً: "وإني مرسله إليهم بهدية
فناظرة بمن يرجع المرسلون".

وفي الحصون القريبة من الأعداء أن يزيل كل حصن لم يتمكن من أن يسكن أمانه فيه، لنلا يستند أعداؤه إليه، وليخف من الحبل لنلا تلسمه الحياة، ورأس كل بيت احتجابه عن الرعية.

الباب الخامس: فيما يجب كشفه من الأمور التي يجهل في رعيته بالعدول والأمان. كأمور الحيوسين والأوصياء على الأيتام، وحجر المهمل من يتيم وسفيه يأمر برفع أمره إليه، وكأمور الغيات وإرث الأموات وأمور بيت المال وأرزاق العمال على الاستبصار والورع لا على الأضرار والطمع، وكأعمال العمال وما يزيد لهم من الأموال، فمن ظهر منه تقصير زجره أو ظلم عزله، أو شكوى منه أبطله وجل بدله، وإلا انتقد من الأمناء، ومن زاد له مال على ما يعطى أخذه وجعله في مصالح المسلمين، وإن شك في قاسمه، وليكن عليهم كراع الماشية بين الأسوار الضارية، من عمال السوء وجميع الفساد.

إذا كنت في أمر فقم فيه ناصحاً * * وإن تستتب فاختر خياراً لأهله

ومن يأت بالكلب العقور ببابه * * فعقر جميع الناس من سوء فعله

عمل عاملك عملك، إن أحسن، فالثواب لكما، وإن أساء فالعقاب عليكما وكس المتهمين بالفساد فإن قريب التهمة بوجود علامتها، فلا بد من كشفه، فإن ثبت عليه وإلا توعدده وزجره بحسب قرينه وبعده.

وكأمور الأعداء فلا بد من كشفها بالجاساس الأمناء، فإن الجهل عمى وبصير واحد يغلب ألف عمى، وأعظم البلية الغفلة عن الرعية، وكذب الداميين ومدح المالحين فلا بد من كشفه من الأمناء.

الباب السادس: فيما يجب عليه من العدل والإحسان، فالعدل أن يوفى كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، سواء كان الحق عليه أو على غيره من رعيته، فمن لا يأخذ الرعية حقوقهم من بعضهم ليس بعدل.

وأما الإحسان فهو أن يتفضل من نفسه، أي يزيد لكل من أراد أن يحسن عليه زيادة على حقه مما كان من نصيبه، لا ما كان من نصيب غيره، فمن كان يحسن إلى الناس بإعطائهم أكثر ما يستحقون مما لجميع الناس شركة فيه بغير إنهم فليس بمحسن بل ظالم، لأن ما يحسن به ليس ما اختص به شرعاً فافهم هذا الأمر ولا تهمله، ومن العدل أن يسوي بين الخصمين في جميع أمورهما، وأن لا يقبل من الشهود إلا من كان عدلاً رضى فيما لا تهمة له فيه، فإن تعذرت العدالة فعليه أن يراعي أمثلهم في الصدق مع كشف واستكثار، لا يكتفي باثنين مع السياسة والاستبصار، ثم لا بد أن يطلع المطلوب على أسباب الطالب، ويعذر إليه إذا أراد أن يحكم على المطلوب فلا بد أن يطلعه على الأسباب التي سببت الحكم عليه، ثم يعذر إليه بقوله: أبقيت لك حجة، فإن قال نعم تلوم له، وإن قال: لا حكم عليه، ثم بعد مشاوره العلماء ولا يجوز له الحكم في شيء إلا بمشهور مذهب إمامه، فإن الحكم بغير المعتمد جور وضلال يجب نقضه على كل حال، وتختص دعاوي الجنابات بأنواع السياسات.

والجنابات كالسرقة وقتل النفس، فمن ادعى عليه بالسرقة من غير بيّنة فلا يخلو من ثلاثة: قسم بعيد عما نسب إليه فلا يلتفت لدعوى المدعي بل يؤدب لأجل المدعى عليه إن كان من أهل الصلاح.

وقسم قريب من الدعوى، فلا بدّ من حبسه وتهديده وجلده بحسب الجريمة وبعده من التقوى، وربما يغرم بمجرد الدعوى واليمين حيث علم بمثل الدعوى واشتهر وتكرر منه، لأن شهرته بما نسب إليه صارت شاهداً للمدعي عرقباً، ومن تكرر منه الإذابة واشتهر حبس حتى تظهر توبته أو بقبر.

وقسم مجهول الحال فلا بدّ من اعتقاله، أي حبسه، وكشف الحاكم عن حالة ثم يحكم له بحكمه، وإلا أرسله بعد سياسة وتهديد، وكشف ووعد، بحسب ما يقتضيه النظر من التشديد. كل ذلك بالتقوى، لا بالهوى، وليس كل الناس سواء.

ومن ادعى عليه بنفس فلا بدّ فيه أولاً عن حبس بالحديد وكشف وتهديد، ثم إن ظهر الأمر عمل عليه وإلا نظر في قربه وبعده فما نسب إليه، فإن قرب طول في اعتقاله وإن بعد عجل بإرساله. ولا بدّ للأمير الأعظم أن يجلس في كل يوم للناس بحيث يصل إليه جميع الناس، ولا يكفيه القضاة والعمل، لأن شكوى للرعية قد تكون منه ويجب عليه أن يزجرهم وإلا فهو كسلم الدار لأربابها وكماسك قرون البقر لحلابها وقد عزل الخلفاء العمال الصالحين بسبب الشكوى وهو أقرب للتقوى. ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية.

الباب السابع، فيما يجب عليه من جبي الأموال من وجوه الحلال، "ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه". وملاك السلطنة هو الكف عن أموال الناس بأن لا يطلب منهم شيئاً لم يكلفهم الله به، والطمع في أموالهم خراب المملكة، فمن الأموال التي حلّ الله للأمراء قبضها وصرفها.

زكاة العين والحرب والماشية والفطر والمعدن وخمس الغنيمة والركاز، وأموال الجزية والصلح، وما يؤخذ من تجار أهلها وتركته لا وارث لها، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب لا حرب. فإذا كان الأمير عادلاً في صرف مال الله وجب على من بيده شيء من زكاة وغيرها، أن يدفعه له ليصرفه إن لم يكن عادلاً فلا يعطيه فتأمل.

ومن الأموال التي حرم على الأمراء وغيرهم كل ظلم. ومن الظلم ما يأخذه الأمير على تولية القضاء أو غيره وهو حرام بإجماع المسلمين وذريعة لإفساد الدين وفتح لأبواب الرشى وقهر المساكين، لأن الولاة يرون حين أخذ منهم المال على الولاية لا بد أن يأخذوا المال من الرعية فيقهرون عصمة الله من ذلك.

ومن الظلم الرشى لسلطان وقاض وعامل، وهو أن يأخذ من أحد الخصمين أو من كليهما شيئاً قبل الحكم أو بعده. وكذا قبول الهدية من الرعية فإنه باب كل بلية.

إذا دخلت الهدية على ذي سلطان خرج عنه العدل والأمان وصار صاحب بالخيانة.

فمن الظلم العقوبة بالمال كأخذ مال السارق والزاني وهي حرام على كل حال، إلا إذا كانت جناية الجاني متعلقة بذلك كلبن خلط بالماء، فالصدقة به حلال. ومن الظلم المكس وهو حرام بإجماع، ومن الظلم أخذ العشر أو غيره كالنصف والثلث من أرباب الحقوق والتركات، وهو حرام بإجماع المسلمين ونصوص الآيات.

الباب الثامن: في مصارف أموال الله: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". فيجب على الأمير صرف أموال الله في مصارفها بالكرم، لا بالبخل، والتبذير، فالكرم هو بذل ما يحتاج له

عند الحاجة المستحقة بقدر الطاقة، فمن خرج عن هذا الحد فقد تعدى وظلم ولا حظ له من الكرم، وهو: إما بخيل أو مبذر في أرزاق بيت المال. وفي كل منهما خراب المملكة على كل حال. فيجب على من كان جبلته أن يستنيب من عطايا مملكته ثقات خاصة أهله. فمال الله قسمان: قسم زكاة مصارفه الأصناف الثمانية التي في القرآن ويجب صرفها محل الوجوب ناجزًا إن وجد به مستحق، وإلا نقلت لأقرب مكان فيه وإن كان في محل وجوبها بعضها، ونقل للأحوج بعضها بحسب الاجتهاد، وأجرة نقلها من الفئ لا منها. ولا يجب تعميم الأصناف كلها، بل إن أخرجت لبعضها أجزاء، إلا أن تعطى للعامل فقط فلا تجزىء، ويقدم الأهم فالأهم، والأحوج فالأحوج، ويفضل بعضهم على بعض بقدر الحاجة. ومصرف زكاة الفطر صنفان الأولان فقط أي الفقراء والمساكين، ولا يعطى حارسها منها.

والقسم الثاني: الفئ كخمس الركاز والمعادن والغنيمة وما يؤخذ من أهل النمة وأهل الصلح، وما يؤخذ من تجارتها وخراج الأرضين وتركة لا وراث لها، وما أفاء الله من أموال الحرب بلا حرب، فصرف ذلك حكمه إلى الإمام يصرفه في المصالح بالتقوى، لا بالهوى، وأحق الناس بالتوسعة عليه من مال الفئ حماة الدين من قضاة المسلمين والعلماء الأتقياء المرشدين، وأهل كل بلد أحق بفيئته من غيرهم إلا أن تنزل بغيرهم حاجة فينقل إليهم شيء منه بعد إعطاء أهلها ما لا غنى من صدق من حصن وسلاح وغيره، ثم بأرزاق العلماء والمقاتلين، ثم بالفقراء الأحوج فالأحوج، حتى يجمعهم بأجمعهم من ذكر أو أنثى وصغير وكبير، فإن اتسع المال أبقى منه في بيت المال شيء لما يحدث من النوائب وبناء المساجد وفك الأسرى وقضاء الديون ومؤونة تزويج العزباء، وإعانة الحجاج، وغير ذلك من وجوه

الاحتياج فهذه سنة صرف أموال الله للمسلمين. ولكن الظالمين اليوم فى ضلال مبين، قطعوا العدل والإحسان، ووصلوا الظلم والبهتان، فقُلت أرزاقهم، وساءت أخلاقهم، وجاءهم الموج من كل مكان".¹

تقديم المواعظ والنصائح إلى السلاطين والأمراء

يتمثل ذلك فى رسالة المغيلي إلى سلطان كنو (محمد رمفا) فيما يجوز للحكام خصوص ردع الناس عن الحرام، ونصها:

"من عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبى عبد الله محمد بن يعقوب، سلطان كنو وفقه الله لما يرضاه، وأعانه على ما أولاه من أمر دينه ودنياه بجاه سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام فى ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإياك على رعاية ودانعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، إنه لا بد من ردع المفاصد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساد، مع إمكان ردعه عنه، أو لعنه، أو حبسه، أو ضربه، أو صلبه، أو قتله، أو نفيه، أو نهب ماله، أو حرق بيته، أو غير ذلك من العقوبات الشرعية.

كل داء دواء، ولكل مقام مقال وفعال، بحسب ما يظهر من الأحوال، فصن مقامات خلافة عن الإهانة برّدع العامة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال وسائل الأحوال.

ع. الله الإلورى، الإسلام فى نيجيريا والشيخ عثمان بن فودى الفلانى، المرجع السابق، ص. 75-

ولا تصبر لمن تعمد ذلك ولم ينته، لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله وأمنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم، وغير ذلك من المحرمات، وأمنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل، وغيرها من المحلات، فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر في شهر رمضان، أو زنا، أو غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل فعلهم ضعفة العقول من العامة والنسوان والصبيان، لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى وأصلهم كان كذلك وقد كان العلماء في الرجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب. فإنهم عن ذلك، وأشير إنكاره وتوعد بالعقوبة لمن فعله، ثم بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه ويردع مثله، وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلا بقطع يده أو رجله أو صلبه أو قتله، أو غير ذلك من الروادع الشرعية، فافعله لأنه ظالم، والظالم أحق أن يحمل عليه.

ولكن لا تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه، إلا إذا رأيت أنه لا يرجع لغيره، من ذلك: من لم ينته من الناس من عمل الخمر إلا بنهب أموالهم أو حرق بيوتهم، أو إجلائهم، أو بيع الكفار منهم، أو غير ذلك فافعله ولا تبسل. ومن لم يستر أمته أو عبده ولم ينته إلا ببيعه عليه أو بأخذه منه فافعل ولا تبال، وكذلك من يغش بمسحت ناقصات وأبى أن ينتهي من المعاملة بها فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين وأما من لم يغش بها ولا أبى أن ينتهي فمره بإصلاحها إن أراد المعاملة.

وكذلك من يلتقي ما يأتي للسوق من طعام وغيره فيشتريه قبل وصوله للسوق أو بعد وصوله، وبيعه على يده، وإن لم ينتهوا إلا بنفيهم أو نهب ذلك منهم فافعل، لأن مقصد الشارع في الروادع درء المفسد وجلب المصالح بحسب الإمكان في كل

من ومكان. وليس الخبر كالعيان، ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز
رحمة الله عليه: "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"، فلا بد من إزالة
الحسد على كل حال. وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى فدراً
السدة الكبرى أولى. وهذا الذي بينا لك يكفيك إن شاء الله في تلك المناكر
وعجزها..

والناس في حكم الله ورسوله سواء فلا تخرج من ذلك علماً ولا عابداً، ولا شريفاً
ولا أميراً، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى، لا بالهوى.

ومن عارضك في شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله، وإن لم يكن إلا
ضلع يده أو رجله أو أنفه أو صلبه فافعله ولا تبال، ولكن بعد ثبوت وتثبت في ذلك
كـ، ومقابلة كل واحد بما يليق به، بحسب حاله من الخير والشر والتواضع
والطغيان، فتصرف في ذلك بالزيادة والنقصان حتى يعتدل الميزان، وليس الخبر
كالعيان، والله المستعان، وعليه التكلان. وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية.
وكما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك وإذا نسيت شيئاً منه فلا تنس أن
من غير حكم الله فقد كفر، ومن تغير حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضياً، لأنه
يحكم بالظلم وهو يقول: هذا هو الشرع، ومن فعل ذلك فهو كافر لأنه صير الباطل
حقاً، والحق باطلاً، فإن كان لا بد أن نجعل بعض الظالمين حاكماً فلا تجعله باسم
القاضي، فإن القضاء من صفات رسول الله لا يوصف به إلا عالم تقى لا يأخذ
رشاً، ولا يحكم بالهوى.

الله، الله، الله. وهذه الوصية هي أؤكد جميع الوصايا أما يكفيك أن تظلموا باسم السلطنة فتكونوا مذنبين ترجون رحمة الله ثم تظلمون باسم الشرع، حتى تكونوا كفاراً، والكافر لا نصيب له من رحمة الله، فظهر مقام الشريعة من خبث لأنه سق رسول الله، لعل الله أن يغفر لك ذنوبك جميعاً، والسلام على من اتبع الهدى".¹

هذه الرسالة كتبها المغيلي عام 897هـ. ولا يزال الأمراء يستفيدون منها حتى اليوم

خاتمة

من خلال السطور السابقة، سلطنا الضوء على آثار الشيخ عبد الكريم المغيلي في الأدب العربي بديار نيجيريا وبيننا الأدوار الفعالة التي أداها المغرب في نشر الثقافة الإسلامية وحضارتها في غرب إفريقيا عامة، والديار النيجيرية خاصة، وفي تطوير اللغة العربية وآدابها في المنطقة.

وتوصلنا في آخر البحث إلى أن المغيلي ترك في نيجيريا آثاراً ملموسة في مختلف المجالات، الدينية والسياسية والعلمية والأدبية. ففي ناحية الدين والسياسة كان مستشاراً للسلطين والأمراء، إذ ألّف لهم في هذا المقام دستوراً ووصية يستخدمونها في تدبير شؤون دولتهم وتنظيم أمور رعيّتهم. ومن الناحية العلمية درّس عدداً لا يستهان به من أبناء المنطقة، حيث نظم لهم أرجوزة في علم المنطق وشجعهم على تعلمه، وله في الباب ذاته مناظرة نقدية شعرية مع الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، حيث كان في موقف المؤيد والسيوطي في موقف المعارض. ومن الناحية الأدبية تبين لنا أن

¹ المرجع نفسه، ص. 85.

تأثير الثقافة المغربية في الفروع أحمد وبها التكني

كانت رائعة تأثر بها أدباء نيجيريا في أفكارهم وأغراض شعرهم وأسلوبهم. ونرى من الحير تفصيل البحوث والدراسات حول هذا الشخصية أعمالا وأثرا، حتى ينكشف اللثام عن قيمتها وأهميتها فتستفيد منها الأجيال القادمة كما استفادت منها الأجيال السابقة.

